لما سمع قتل اخيه فلهذا القدر عوتب عليه لانه دليل على انه لم يهتم بموته
اخيه وما هو مذكور في السورة يحتمل ان يكون المراد منه غير هذه القصة
حتى قال المفسرون ان جماعة تسوروا قصره ليقتلوه فلما راهم داود
خاف مما تقرر في العرف انه لا يتسور دور الملوك من غير اذنهم الا ذو ريبة
وهو المراد من قوله ففزع منهم فلما راوه مستيقظا خافوا من تعلمه هو
واخترعوا خصومة لا حل لها زعما منهم انهم انما قصدوه لاجلها دون
ما توهمه وهو المراد من قوله لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض ثم ادعى
واحد منهم على الاخر كما اخبر الله تعالى فقال داود عليه السلام في جوابهم
لقد ظلمك بسؤال نعجتك وحمل هؤلاء هذه الاية على هذه القصة
اولى لان الملائكة ما ظلم بعضهم بعضا فيكون كذبا وحمل النعجة على النساء مجاز
والاصل عدمه وعدم صدور الكذب على الملائكة واما هاهنا فلا يلزم
الا ارتكاب الكذب عن تلك اللصوص وهو جائز فان قيل قوله تعالى
وظن داود انما فتناه فاستغفر ربه مناف لما ذكرتم فان ذلك لا يقتضي
الاستغفار فالجواب ان المراد اختبرناه في انه مع كمال سلطنته هل
ينتقم او يعفو عنهم والاستغفار انما كان لهم لا لنفسه وذلك غاية الحلم
والكرم فلا يكون منافيا لما ذكرنا فان قيل قوله تعالى فغفرنا له ينافي ما ذكر
اذ لو كان الاستغفار لهم لوجب ان يقول فغفرنا لهم فالجواب يحتمل ان
يكون المراد سترناه اي لحرمته او لشفاعته فحذف المضاف واقيم المضاف
مقامه ثم عقب الناظم ما ذكره بذكر ما ظهر على يديه صلى الله عليه
وسلم من المعجزات الدالة على صدقه فقال كم اي كثيرا ما ابرأت وصبا
بكسر الصاد اي مرضا باللمس راحته الصادر منه بها للمرض المذكور لما
واشار بهذا الى نحو ما روي ان شرحبيل الجعفي كانت بكفه سلعة تمنعه
القبض على السيف وعنان الدابة فشكاها النبي صلى الله عليه وسلم فما
زال يطحنها بكفه حتى لم يبق لها اثر وكثيرا ما اطلقت راحته اربا بضم
الهمزة وفتح الراء اي حلت عقدا كائنة تلك العقد من ربقة اللمم اي من
عقد

عقد الجنون التي يربطون بها الادميين وهذا على سبيل الاستعارة والتشبيه
لان الجان لما كان يخنق الادمي ومحل الخنق العنق فشبه فعله ذلك
بالادميين بالحبل الذي هو عرى يدخل في تلك العرى اي اعناق الغنم
لئلا يذهبوا ممن شفاه الله من الجنون ببركة النبي لمس الحبيب صلى الله
عليه وسلم اياه براحته فقد اطلقت عنه عقد الجان واشار بهذا
الى نحو ما روي ان امراة اتته صلى الله عليه وسلم بابن لها به جنون
فمسح بيده المباركة صدره فثع ثعة اي قاء فخرج من جوفه مثل
الجرو الاسود وان فسر اللمم بالذنوب والمعاصي فالمعنى كثيرا ما
اطلقت راحته عقدا من ربقة حبل الكفر ثم اصبح منها محلولا ببركة
مسه بكفه صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان يكون اربا على وزن فرحا
اي ذي حاجة ومعنى اعم من ان يكون الى اعطاء او الى شفاء او الى تخلص
من اثم والمعنى المحتاج الى الشيء قبل اتصاله بحاجته كانه مجنون فاذا اتصل
بها كانه اطلق ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم ان احييت اي احيت
السنة الشهباء التي لا مطر فيها ولا نبات وسميت بذلك لغلبة بياض الارض
فيها لعدم النبات فيؤدي بالنسبة الى البياض منه احياء دعوته اي دعاؤه
وتضرعه الى الله تعالى في ان يحيي الله تلك السنة بالمطر فاستجاب
الله دعاءه ونزول المطر وحييت السنة بتبديل حال الجدب فيها بحال
الخصب حتى حكت اي شابهت غرة في الاعصر الدهم بضم الدال
وسكون الهاء ويجوز ضمها اتباعا اي صارت نسبة تلك السنة بما
اشتملت عليه من الخصب الى سائر الاعصر الدهم اي الى ازمنة الجدب
شبه الغرة من كل شيء وهو الافضل منه وانما كانت ازمنة الخصب دهما
لستره خضرة النبات فيها والسنة مفعول دعوته وفي هذا البيت
الترشيح وهو ان يذكر في معنى من المدح او غيره الوان التصور الكنائية
والتورية ويوقع في كلام الناظم في قوله السنة الشهباء اذ الشهباء كناية
عن السنة المجدبة والدهم كناية عن سني الجدب على الاصح وهذا الاحيا

Copyright © King Saud University